مواقف النخبة الجزائرية من سياسة فرنسا الإندماجية.

أة. فتيحة صافر*

المقدمة: الاندماج Assimilation. لغويا يعني: الرغبة الذاتية في التوحد مع الآخر. وترجع جذور هذه التسمية في السياسة الفرنسية إلى التشريع الذي أصدره نابليون الثالث في 22 أفريل 1865م، والذي اعتبر الجزائريين رعايا فرنسيين، وأن الجنسية الفرنسية وقوانينها غير مناسبة في حالة المسلم الجزائري إلا إذا تخلى عن أحواله الشخصية الإسلامية[1].

وتدخل سياسة الإدارة الفرنسية الاندماجية ضمن عدد من القوانين والمراسيم التي لم تراعي تقاليد وعادات وديانة المجتمع الجزائري. وهي كما ادعت السلطات الفرنسية تنطلق من فكرة التجنس كوسيلة لإنقاذ الإنسان الجزائري من الجهل والأمية والتخلف من جهة، والحصول على بعض الحقوق المدنية من جهة أخرى.

كثر الحديث عن سياسة الاندماج منذ سنة 1891م على إثر زيارة لجنة التحقيق البرلمانية بقيادة جول فيري. ومن ثمة ظهرت طروحات جزائرية تؤمن بالتقارب مع الفرنسيين وتنادي بالمساواة وببعض الحقوق.[2] وكانت الخطة الفرنسية تقضي في المرحلة الأولى خلق نخبة متشبعة بالأفكار الفرنسية ومؤمنة بالتفوق الحضاري الفرنسي الذي جعل منها أمة قوية وقادرة على اختراق القلاع المحصنة. ومن أجل هذا لعبت المدرسة الكولونيالية الدور الأساسي في خلق هذه النخبة المثقفة التي سيلقى على عاتقها مستقبلا نشر الثقافة الفرنسية تسهيلا لعملية الدمج والاحتواء في إطار المتروبول، ولتقوم فيما بعد بدور أساسي في عملية إقناع الأهالي بحتمية المصير الحضاري للجزائر من خلال إدماجها بفرنسا. فرنسا منقذة الجزائر من التخلف والتأخر والجهل والفقر[3]. وقد مثل هذا التيار جيل من الشباب منهم أحمد بن بريهمات، رابح زناتي، سعيد الفاسي[4]، شريف بن حبيلس، محمد صالح بن جلول. ممن آمنوا أشد الإيمان بفرنسا، عصر النور، ومبادئ ثورة 1789م (الحرية، المساواة، الأخوة)، وتوسعت قاعدة هذه النخبة باستمرار بعدما استوعبت المدرسة الكولونيالية أعدادا متزايدة من الأطفال الجزائريين منذ الحرب العالمية الأولى.

* أستاذة مساعدة أ في التاريخ الحديث والمعاصر - قسم العلوم الإنساتنية- التاريخ– جامعة وهران1 أحمد بن بلة.

وخيار الاندماج الذي تبنته النخبة الجزائرية لم يكن محط إجماع كل عناصرها. كما أنه لم يجد رواجا وسط الشعب الجزائري لأنه خيار يتعارض أولا: مع عقيدته، بما أن سياسة الاندماج كانت قائمة على التخلي عن مقومات الشخصية الجزائرية الإسلامية، وكان من الصعب أن يقتنع المسلم الجزائري بالتخلي عن هذه المقومات والاندماج في مجتمع غريب عنه في دينه وأخلاقه وعاداته. وأن يتنكر لعقيدة اعتنقها بملأ أرادته بحجة التمدن والتطور.

وثانيا: سياسة الاندماج تقتضي الاعتراف بالنظرية الاستعمارية القائلة بأن هذا الشعب كان عبارة عن قبائل وعشائر متصارعة، وأنه لم يعرف الحضارة إلا من خلال مختلف الشعوب التي غزته، وأن هذه القبائل لم تشكل أبدا وحدة سياسية حضارية متميزة، ولم تتمتع على الإطلاق بسيادة وطنية وشخصية دولية لأنها لم تتجاوز مرحلة البدائية القبلية[5]. وأن الدين الإسلامي واللغة العربية هما من مخلفات الغزو العربي للمنطقة. ومنه فإن عملية الاندماج ما هي إلا مرحلة أخرى من تاريخ هذه الأمة التي لم يكن لها وجود إلا من خلال الشعوب التي احتلتها. وبالتالي الإندماج هو نكران لخصوصيات هذا الشعب ولذاتيته.

مع نهاية الحرب العالمية الأولى اضطر الاستعمار إلى مراجعة منهجه وتعديل أسلوبه الرامي إلى إلغاء الوجود المادي والمعنوي للشعب الجزائري، فأصبح يهتم أساسا بضرب مقومات الشعب الجزائري بالعمل على تشتيت وحدته وفصله عن محيطه العربي الإسلامي، وإدماجه في بوتقة الحضارة الغربية، وتحويل اهتماماته وتطلعاته عن مسارها الطبيعي لتكون في خدمة المصالح الفرنسية. ومهما يكن من أمر فإنه بالنظر من بعيد نجد أن عقد العشرينيات كان عقدا حاسما في تاريخ الجزائر، فإذا كانت الحرب لم تأت بأي حل للمشكلات الجزائرية، فإن نتائج الحرب قد تركت بصماتها على كل مظهر من مظاهر الحياة تقريبا في الجزائر.

فقد عاد الجزائريون الذين شاركوا في الحرب، وقد شاعت بينهم أفكار جديدة نتيجة احتكاكهم بالحياة الأوروبية وتمتعهم ببعض المساواة مع الفرنسيين، وترسخ في وعيهم بأنهم شاركوا في انتصار فرنسا والحلفاء وعليها أن تكافئهم على ضريبة الدم التي دفعوها، بالتعامل معهم كمواطنين. وتأثرهم بالأفكار الديمقراطية التي جاء بها الرئيس الأمريكي ولسن ولا سيما فكرة حق الشعوب في تقرير مصيرها. ولم يكن تأثير الثورة الروسية والحركة الشيوعية أقل أهمية خاصة وأن الحرب قد زادت عدد البروليتاريا الجزائرية. هذه الأخيرة التي أصبحت أكثر وعيا بحقوقها من

خلال العمل النقابي. أضف إلى ذلك تأثيرات حركة الجامعة العربية التي بدأ صداها يصل إلى الجزائر.

أمام هذه الأحداث سعت السلطات الفرنسية إلى إعادة طرح سياستها الاندماجية مرة أخرى من خلال إصلاحات فيفري 1919م، واستهدف هذا القانون بالدرجة الأولى شريحة من المجتمع الجزائري قادرة على أنتاج رؤى فكرية لا تتعارض والمشروع الاستعماري الجديد. غير أن تفاصيل هذا المشروع الإصلاحي أدت إلى انقسام النخبة الجزائرية ممثلة في "حركة الشبان الجزائريين" بين أولئك الذين اعتبروه فرصة الانطلاق نحو تحقيق المساواة عن طريق التجنس الفردي، ممثلين في جماعة الدكتور ابن التهامي[6]. وبين أنصار المواطنة في إطار القانون الخاص. واتسع عمق هذه الفرقة أثناء انتخابات مارس 1919م بالجزائر، بعدما أرجعت جماعة ابن التهامي الانتصار الذي حققه الأمير خالد إلى روح "التعصب الإسلامي" بالرغم من أن الأمير كان واحدا من هذه النخبة التي سرعان ما تنكر جزء منها لأصوله الإسلامية.

انقسمت جماعة النخبة حول تفاصيل هذا القانون الذي كان من المفروض أن يلبي ليس فقط رغبة فئة معينة من الجزائريين، وإنما أن يكون الحل لتطلعات جميع فئات الشعب الجزائري من دون أن يفقد هويته. لهذا تمحور هذا الانقسام حول تدعيم سياسة الاندماج أو مناهضتها. ومن هنا زرعت انتخابات مدينة الجزائر 1919م الفرقة داخل كتلة النخبة. وتجدر الإشارة إلى أن أفراد هذه النخبة لم تكن فاقدة تماما للارتباط بمجتمعها لأن بعضهم دعا إلى إصلاح أوضاع الأهالي وكانوا بالرغم من اختيارهم لسياسة الاندماج يتبنون مطالب تمثلت فيما تعلموه من شعارات الحرية والمساواة والعدالة التي آمنوا بها، وكانوا متأكدين من أن فرنسا التي وضعت هذه الشعارات لابد أن تحترمها وتعمم تطبيقها على مستعمراتها.

أ- **دعاة الاندماج التام:** تبلورت فكرة الاندماج التام وسط نخبة من المثقفين الجزائريين المتجنسين الذين استهوتهم الحضارة الأوروبية، فربطوا مصيرهم بفرنسا. فكان معظمهم يعتقد أن مأساة الجزائر وشعبها تكمن في التفرقة العنصرية التي فرضتها الإدارة الفرنسية. وأن العلاج الحقيقي لها هو تطبيق مبدأ المساواة في الحقوق والواجبات بين الأقلية الأوروبية والأغلبية المسلمة. ولهذا ركزوا على فكرة الاندماج والحصول على الجنسية الفرنسية، واعتبروا ذلك بداية الطريق لتحقيق أهدافهم. واعتقدوا أن هذا الشعب الغارق في بؤسه ليس لديه ما يخسره عندما يصبح فرنسيا، بل سيحظى بكثير من الامتيازات، فالهوية الفرنسية القادمة أصبحت بالنسبة إلى هؤلاء ملجأ لإنهاء حالة المعاناة

والتفرقة العنصرية. التي ظل الشعب الجزائري يحياها.[7] ومن أوائل هذه الفئة من خطفهم الفرنسيون، ثم أخذوهم من الجزائر إلى فرنسا، وأدخلوا بعضهم إلى مدرسة خاصة في باريس، وفي الجيش وفي فرقة الترجمة وفي الإدارة. وهكذا أصبحوا هم نواة هذه النخبة ثم جاء جيل ثان وثالث من أولادهم ومن خريجي المدارس الفرنسية بالجزائر، وأصبح لهم صوت في الحياة السياسية منذ أوائل القرن العشرين.[8] مثلته بجدارة جمعية المعلمين الأهالي التي كانت من أشد الجمعيات التي آمنت بالسياسة الاندماجية كحل للمسألة الجزائرية. فقد روج أعضاؤها الذين كان الكثير منهم من المعلمين المتجنسين لهذه الأفكار من خلال جريدة "صوت الضعفاء" (1912-1939م). وتوقع إسماعيل حامد[9] وهو أحد المتجنسين الأوائل: "أن الجزائر ستصبح مقرا تذوب فيه كل الجنسيات المخالفة للمسيحية، تلك الجنسيات التي عاشت في الجزائر في أطوار تاريخية متعاقبة من عرب وأمازيغ الذين بقوا بعيدين عن كل دخيل أجنبي، وعندما يتحقق ذلك يخلق فوق الأرض الجزائرية شعبا واحدا، وهذا الشعب يدعى الشعب الفرنسي."[10] واستبعد أن يكون الاندماج الكلي ناجحا، والأقرب عنده هو الاندماج المحدود عن طريق الزواج المختلط، فعن طريق هذه الطبقة ستتم سياسة التشارك والتعليم التي تبدو الشكل الأكثر ملاءمة لكل تطور كولونيالي[11].

ويعتبر شريف بن حبيلس[12] مؤلف كتاب "الجزائر الفرنسية من منظور أحد الأهالي" الذي نشر سنة 1914م نموذج المثقف الاندماجي بصدق. وكتابه هذا عبارة عن مرافعة من أجل الاندماج والارتباط بفرنسا بعد هضم ثقافتها والذوبان فيها. ويتمحور الكتاب حول أفكار التقارب بين الطائفتين واندماجهما. ويستعرض المنجزات الفرنسية في الجزائر، لأن فرنسا في رأيه تمكنت من تحويل الجزائر من بلد عصابات وصراعات أهلية إلى بلد آمن ومستقر.

وبالرغم من تراجع مصداقية النخبة الاندماجية بعد الحرب العالمية الأولى بعض الشيء نتيجة موقفها من قانون 1919م وخاصة من موضوع التجنس. فقد ظل أعضاؤها يروجون لأفكارهم اعتقادا منهم أن الحل الوحيد لمشاكل الجزائريين المسلمين يكمن في قبول سياسة الاندماج وشروطها، لخروجهم من نفق التخلف. وحصولهم على حق المواطنة المشروطة هو بداية الطريق نحو حصولهم على حقوقهم التي حرموا منها. وفي هذه المرحلة برزت أسماء كثيرة تؤيد سياسة الإندماج التام ومنهم المعلم رابح زناتي[13] الذي أنشأ جريدة اسبوعية في قسنطينة بعنوان "صوت الأهالي"، وجعل شعار افتتاحية العدد الأول منها "الجزائر ستصبح فرنسية"؛ فقد كتب في أحد أعدادها قائلا: "إن قناعتنا تقتضي منا الاختلاط مع كل الفرنسيين والذوبان في العائلة الفرنسية

كلية ومن دون تحفظ. ومن أجل هذا نسخر كل جهودنا للوصول إلى الهدف.[14] ودائما في نفس النهج نشر عام 1938م كتابا مسلسلا بمجلة "إفريقيا الفرنسية" بعنوان " المشكل الجزائري كما يراه احد الأهالي" تطرق فيه إلى السياسة الاندماجية الفرنسية، واقترح أساليب لتحقيق هذا الاندماج. بفكك مختلف العوائق التي يرى أنها تقف أمام فرنسة الأهالي كالمعتقد الديني، والاهتمام بالتعليم الذي يعتبره الطريقة المثلي لتحقيق الاندماج.[15]

واعتبر سعيد فاسي الإندماج وسيلة لقطع الصلة مع ماض الجزائر الإقطاعي على نموذج الثورة الفرنسية. فهو يدعو من خلال كتابه الذي نشره عام 1936م "الجزائر تحت الرعاية الفرنسية وضد الإقطاعية الجزائرية" صراحة إلى الاندماج، ويظهر فيه مدى تأثره بتاريخ الثورة الفرنسية، حيث يواجه بعض الأعيان الجزائريين وكأنهم نبلاء فرنسا في أواخر القرن الثامن عشر. ويتهجم على علماء الدين اللذين يسعون لتقوية الدين في النفوس، ويشبههم برجال الكنيسة في فرنسا قبل ثورة 1789م[16]، وكأني به يتوقع من تطبيق سياسة الإندماج الكامل بالجزائر ثورة على واقع الجزائريين الذي يشبه واقع فرنسا قبل ثورة 1789م.

و لم يشكل الإسلام عند هذه النخبة حاجزا يمكنه أن يحول دون اندماجهم لأنه في رأيهم دين يسمح بذلك من خلال اعتبار مسألة التدين مسألة شخصية، وبالتالي تدخل في علاقة هذا الشخص بربه، والتخلي عن الأحوال الشخصية لا يعني بالنسبة لهم التخلي عن العقيدة، لأن الإسلام دين تسامح لا يحصر الشعوب في دائرة ضيقة من الأفكار المتعصبة، والقرآن الذي يعترف بوجود ديانات أخرى مثل المسيحية لا يمكن أن يكون المانع الخفي للاندماج ولا للتكيف مع مقتضيات حضارة جديدة مختلفة عن حضارتهم. خاصة في هذه المرحلة من التاريخ.[17]

بدورها شكلت بلاد القبائل بالنسبة للسلطات الفرنسية الحقل المناسب لتجاربها الرامية إلى تفكيك الكتلة العربية الإسلامية، وذلك بحرصها على إدماج الأقلية الأمازيغية وفصلها عن الأغلبية العربية من خلال زرع أفكار مغلوطة عن أصولهم اللاتينية، وعن الغزو العربي الإسلامي لبلادهم. لذلك برزت نخبة من المثقفين الجزائريين ذوي الأصول البربرية داعين إلى ضم البربر روحا وجسدا إلى فرنسا. لعدة اعتبارات دينية، إثنية وحتى حضارية.

ونجد من أبناء بلاد القبائل من تنكر لماضيه، وأراد أن يذوب تماما داخل المجتمع الفرنسي. لأنه لا يجد في هذا الماضي ما يشرف ويدعو إلى الإفتخار. فقد نشر مولود معمري[18] عام 1938م دراسة بعنوان "المجتمع البربري" انتقد فيها قيم وتاريخ مجتمعه التي رأى أنها يجب أن تزول وتترك

مكانها للثقافة والقيم الغربية. وفي هذا يقول: "إن انتقالي من الثقافة البربرية إلى نمط مختلف تماما كان صدمة لي، وترك ذلك في نفسي رغبة مؤلمة في التخلي عن ثقافتي الأولى بعدما أحببتها طويلا. ثبت لي أن كل مخزون الحقائق التي تلقيتها كانت خاطئا"، ومن أجل ذلك أراد أن يذوب في مجتمع آخر ودعا إلى الاندماج التام في فرنسا بعد التخلص من كل ما تحتويه هوية وشخصية البربري من لغة وتاريخ ودين، ثقافة وتقاليد وغيرها[19]. أما المحامي بلقاسم إبا عزيزن رائد البربرية المسيحية والذي أصبح يحمل إسم "أوغسطين" فقد أراد العودة إلى الماضي الأمازيغي أيام كانت بلاد الأمازيغ حاضنة المسيحية؛ فكان من دعاة تمسح البربر والعودة إلى أصولهم اللاتينية لهذا نشر في سنة 1930م تحليلا يقول فيه: تطمح الشبيبة القبائلية إلى التفرنس، وهذا يجد تفسيره في أن القبائلي ليس من الجنس السامي لكنه متوسطي...، وهو ذو أحاسيس قريبة من الشعوب اللاتينية. والفرق بينه وبين العربي، هو أنه يقدس ماضيه التاريخي الذي لا يراه متعارضا مع تاريخ فرنسا."[20]

ومنهم من كان يري أن سبب تخلف البربر عن ركب الحضارة الغربية هو الإسلام الذي فصل هذه البلاد عن أصولها الأوروبية، وبالتالي أبعدها عن التواصل مع صناع الحضارة الغربية.

وجاءت رسائل المحامي حنفي لهمك المدعو حسناي اهميك[21] في سنة 1931م لتدعم الطرح الاندماجي أللائكي فقد اعتبر أن سبب موت بلاد البربر هو الإسلام. وأن مبادئ القرآن متناقضة مع قوانين الحياة العصرية. وأن انطلاق البربر لا يكون إلا من خلال فصلهم عن المشرق وإعادتهم إلى أوروبا.[22]

و لم تتخلى هذه النخبة رغم التحولات التي عرفتها الجزائر مباشرة قبل وبعد الحرب العالمية الثانية، عن موقفها الداعي للاندماج التام، وأكدت تمسكها بهذا الخيار كحل للمسألة الجزائرية. وكتبت جريدة صوت الأهالي La voix des Indigènes عام 1944م بمناسبة مشروع الإصلاحات الذي طرحه ديغول في خطابه الشهير بقسنطينة: "المواطنة التي ستمنح للجزائريين هي شرف لابد من الحفاظ عليه دائما... بالأمس كان الجزائريون في وضعية أدنى من الفرنسيين في المجال السياسي، وسيتساوون معهم قريبا، فهل سيتعجرفون وينسون أن الفرنسيين كانوا أسيادهم في كل شيئ. وأن عليهم السير في ركبهم لتعلم المزيد"[23]، وإن كان رابح زناتي قد اعترف قبل هذا أن فرنسا قد بدأت تفقد الموالين لها من الأهالي نتيجة سياستها التي جعلتهم يشعرون بالمرارة والخيبة وليس بفقدان الأمل.[24]

لقد عاشت الكثير من عناصر هذه النخبة وخاصة منهم المدرسون المتجنسون بعيدة عن تطلعات الجماهير الجزائرية الحقيقية، واعتبرت مقاومة سياسة الاندماج مؤشرا على التخلف والتعصب. وما كان عليها الاعتماد على الشعب لترقيته: "لأنه مثل كل الشعوب غير قادر على المساهمة في تشيد بناء التطور. مسلحا بأسوء أعدائه، إنه مستعد لرمي لبنات البناء على رأس من يحاول إنقاذه من سباته ليمشي به في طريق التطور".[25]

ب- **دعاة الاندماج القانوني:** إن النزعة الاندماجية لا تفرض بالضرورة توجها معاديا للعروبة والإسلام، فثمة عدد معتبر من النخبة الجزائرية من ذوي التوجه الاندماجي وبالرغم من انجذابهم نحو الثقافة الفرنسية أكثر من نزوعهم نحو الثقافة العربية، سعوا إلى الحصول على المساواة مع الفرنسيين عن طريق الاندماج القانوني من خلال تفعيل القوانين التي تمكن الجزائريين المسلمين من الحصول على حقوقهم بوصفهم شعب من الشعوب الفرنسية، أو كما قال فرحات عباس: "بما أن الجزائر أرض فرنسية، فإننا فرنسيون بكل الصفات"[26]، وهذا الاتجاه على عكس الاتجاه الاندماجي التام الذي ابتعد تماما عن الحضارة الإسلامية وقيمها ودعا إلى التجنس والتخلي عن الإسلام. ينطلق من إبقائه على ارتباطه بالإسلام وحضارته بشكل جزئي، رغم تأثير الحضارة الغربية على أفراده. وأكدت هذه النخبة على أن الجزائريين هم أيضا أبناء فرنسا، وعليه يجب أن ينالوا حقوقهم الكاملة وتمنح لهم حريتهم ويأخذوا مكانهم في صف العائلة الفرنسية. فقد كتب محمد عزيز قسوس عام 1931م قائلا: "إن جيلنا فرنسي الفكر فبالرغم من أنه يحتفظ بدينه وعاداته إلا أنه لا يمكن أن يتصور أي نموذج سياسي إلا ذلك الذي تقدمه فرنسا[27]، واعتبر النائب حاج معمر كل المسلمين الجزائريين فرنسيين منذ 1865م، ومن اللاحكمة أن نريد فرض نظام على شعب لم يطلبه لأن ذلك سيدخل الفوضى على حياتهم.[28]

هذا التوجه تبناه كذلك عدد كبير من أعضاء "فدرالية المنتخبين الجزائريين" التي ظهرت عام 1927م في الجزائر في كل من قسنطينة ووهران لاحقا. وعلى رأسها الدكتور محمد الصالح بن جلول الذي عبر عن توجهاته الاندماجية من خلال تمهيد كتاب صديقه الصحفي محمد العزيز قسوس، بيّن تمسكه بالإندماج لنيل الحقوق في إطار الوطنية الفرنسية، وأن القرارات التي ستصدر في المستقبل من السلطات في حق الجزائريين يجب أن تعترف بإخلاص بدعاة الاندماج الذين يحاربون بعض التقاليد المشؤومة، ويعملون في إطار الشرعية الوطنية ويحافظون على حبهم للوطن.[29] ورأى أن اندماج المسلمين خطوة أولى وضرورية حتى يتمكنوا من تحسين أحوالهم من

جهة، والوصول بهم لنيل الحقوق بطريقة سليمة عبر المنتخبين الذين يمثلوهم.[30] ورغم توجهات ابن جلول الاندماجية فقد ظل محتفظا بانتمائه إلى الوطن ووفيا للعروبة والإسلام. فكتب سنة 1935م: سيظل الإسلام عقيدتنا الخالصة التي اختارها أجدادنا بكل حرية، وسننقلها إلى ابنائنا بصفاء ودون تغيير.[31] فقد كان ابن جلول يؤمن أن تقدم ورقي الجزائريين لن يتأتى إلا في إطار الدولة الفرنسية التي عليها أن تحترم هويته العربية الإسلامية. ولن يكون ذلك إلا إذا فعّلت القوانين التي تعترف بالجزائريين كمواطنين فرنسيين. لهذا حاول إقناع الإصلاحيين وعلى رأسهم الشيخ عبد الحميد بن باديس، أنه قادر على الجمع بين الاندماج والاحتفاظ بالأحوال الشخصية، وقد صرح: "نشعر باستمرار أننا إخوة للمسلمين الآخرين مهما كان جنسهم، أسود أو أصفر... لأن شعورنا سامي وهو يشرفنا بدلا من أن يحط من قيمتنا ولا ينسينا أبدا أننا فرنسيون.[32]

بعد المؤتمر الإسلامي برزت شخصية الصيدلي فرحات عباس الذي حاول أن يحقق التوازن في الدمج بين الإسلام والمدنية الغربية؛ فاقترب أكثر من خطى الأمير خالد لذلك اصطبغت دعوته بالاعتدال؛ فبالنسبة له إصلاحات 1919م لم تغير شيئا في حال الجزائريين كرعايا ما دام الفرنسي والعربي يظلون منفصلين بحكم القانون، ودعا النظام الاستعماري إلى الاعتراف بالأهالي كمواطنين متساوين في الحقوق والواجبات مع المعمرين بغض النظر عن أحوالهم الشخصية؛ فقد آمن أن فرنسا القوية والغنية يمكنها أن تخرج الجزائريين من نفق القرون الوسطى، وأن تعيد لهم حريتهم وكرامتهم مع احترام عقيدتهم[33].

وفرحات عباس الذي ظهر في الثلاثينيات كمثقف مسلم وحداثي في نفس الوقت. كان يريد أن يصبح جزائريا فرنسيا لكن ليس بنكران أصالته والتخلي عن مبادئه. بل كان يسعى لأن يؤكد للكولون أنه يستحق المواطنة الفرنسية لأنه متحكم في الثقافة الفرنسية، ومضطلع بأمورها...، وأنه يملك مثلهم ماض عظيم وأصول إسلامية قادرة على استيعاب التمدن والعصرنة.[34] ومن هذا المنطلق ألف كتابه "الشاب الجزائري من المستعمرة إلى المقاطعة" أشار فيه أنه استمد فكره وقناعاته من الثورة الفرنسية التي قامت على المساواة والعدالة والأخوة. فأراد تطبيقها على الواقع الكولونيالي المعادي لبروز نخبة محلية تلقي على عاتقها مهمة ترقية فئة الفلاحين التي دافع عنها في مقالاته التي كتبها بين 1922- 1930م وجمعها في هذا الكتاب[35].

و لم يستطع مشروع فيوليت الصادر عام 1931م ولا مشروع بلوم فيوليت لعام 1936م اللذين التفت حولهما هذه النخبة ووضعت فيها آمالها أن يحققا شيئا لها للحصول على حق المواطنة مع

الاحتفاظ بقانون الأحوال الشخصية. مما جعلها تعيد النظر في موقفها من الاندماج؛ فتدارك فرحات عباس موقفه ودشن بمناسبة المؤتمر الإسلامي في جوان 1936م عهدا جديدا من التعاون بينه وبين النخبة ذات التوجه الإصلاحي واتفقا على المطالبة بارتباط الجزائر بفرنسا في إطار الاحترام التام للشخصية العربية الإسلامية، وهذا يعني شكلا آخر من العلاقة بين فرنسا والجزائر ليس مبنيا على الاندماج بل على الإتحاد. لكن فشل المؤتمر الإسلامي في الوصول إلى تحقيق الأهداف التي رسمها نتيجة تعنت الإدارة الفرنسية، تأكد لفرحات عباس ومن كان معه أن النهج الداعي إلى الاندماج لم يعد يجدي، وأصبح من الضروري التفكير في حل آخر للمسألة الجزائرية. فكتب "أن فشل المؤتمر الإسلامي أذن بانهيار الاندماج، وبدون شك ذلك الخاص بالتعايش السلمي بين المسلمين والفرنسيين بالجزائر[36].

وبعد انهزام فرنسا في 1940م والسياسة العنصرية التي انتهجتها حكومة فيشي بإلغائها مرسوم كريميو تأكد للنخبة الجزائرية أن موضوع المواطنة ما هو إلا مطلب واه حتى وإن تحقق فإنه عرضة للزوال في أي وقت، وبالتالي سعت هذه النخبة إلى البحث عن قواعد وقنوات جيدة تضمن للطرفين حقوق متساوية ومتبادلة. لهذا انتقلت من المطالبة بالإدماج إلى المطالبة بالفدرالية. وأعلن فرحات عباس عند تأسيسه حركة أحباب البيان والحرية. وصرح بأن "وعود قد أعلنت و لم يتحقق منها شييء... فتحرير الإنسان الجزائري سيكون مهمة الإنسان الجزائري نفسه. ولكي يتحقق ذلك لابد من تحرير الجماهير... نحن نأمل أن تعتمد الجزائر على الديمقراطية الفرنسية وتحتفظ بذاتها وبلغتها وبعاداتها وتقاليدها. وأعلن أنه في صالح ارتباط الجزائر بفرنسا لا في دمجها.[37] وكنتيجة لهذا التطور ابتعد الدكتور بن جلول الذي ظل يرى أن هذه المطالب لا تتحقق إلا في أطار التجمع الفرنسي الإسلامي الجزائري بضم جميع الفئات الشعبية كالجمعيات المختلطة الفرنسية الأهلية والأحزاب السياسية والنقابات العمالية والمهنية، ويكون هدف هذا التجمع تكثيف جهود جميع هذه الفئات للدفاع عن مطالبها المشتركة.[38] و لم يستطع مرسوم 7 مارس 1944م أن يعيد للنخبة الإندماجية ثقتها في سياسة فرنسا. وإن لم تتوقف المطالب الاندماجية تماما إلا في عام 1960م حين تخلت فرنسا نهائيا عن مشروع فرنسة الجزائر.

مواقف رافضة للاندماج: هذا التيار الرافض لسياسة الإندماج بكل معطياتها هو من خلال هذا يقف أمام آليات الاستعمار ووسائله المدمرة، ومن آثارها وانعكاساتها السلبية على الهوية الوطنية والانتماء الحضاري للجزائر. وذلك من خلال إبطال مفعول مراسيم السيناتوس كونسلت، قوانين

الأهالي، وسياسة الإستعمار التبشيرية الهادفة إلى القضاء على مقومات الشعب الجزائري الإسلامية، سياسة تعليمية انتقائية لم تولي الفرد الجزائري أي اهتمام بقدر ما كانت سياسة تغريبية تهدف إلى اقتلاعه من جذوره.

برزت هذه النخبة إلى الوجود في الوقت الذي تكاثر فيه الحديث عن اندماج الجزائر في فرنسا، والدعوة إلى التخلي عن الهوية الإسلامية للحصول على حق المواطنة الفرنسية. وظهور مجموعة من المثقفين الجزائريين من ذوي الميول الفرنسية ممن انقطعوا عن الثقافة العربية، ومن لم يكونوا فيما يبدو يعرفون عن الإسلام إلا القليل أو لا شيء. وراحوا ينادون بالاندماج ويرونه فرصة عظيمة لظهور مجتمع جزائري جديد هو جزء من المجتمع الفرنسي. وبرفضها لسياسة الاندماج، رفضت هذه النخبة كل الممارسات الاستعمارية التي سعت إلى طمس كل المعالم التي تميز الجزائر عن فرنسا. هذه السياسة التي بدأت بتهديم كل ما هو عربي إسلامي من الإنسان إلى المؤسسات، واستمرت ببناء الكيان الفرنسي المسيحي على أنقاض الحضارة العربية الإسلامية. وحاولت بجميع الوسائل إدماج الكيان الأول في الكيان الثاني بواسطة تغيير مجرى الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية وجعلها تصب كلها في مجرى مصب واحد هو المصب الفرنسي المسيحي. وبعبارة أوضح تذويب العنصر الجزائري في العنصر الفرنسي وليس إدماجهما في بعضهما البعض، وذلك لا يتم إلا بتجريد العنصر الجزائري من خصائصه الذاتية.

وإذا كانت نخبة القرن التاسع عشر التي رفضت سياسة الاندماج قد طرحت موضوع المساواة والحصول على الحقوق كبديل[39]. فقد أخذ هذا الرفض بعد الحرب العالمية الأولى أبعادا عملية من خلال خلق وسائل وبدائل لمواجهة هذه السياسة خاصة على الصعيد الثقافي والاجتماعي.

ولعل أول مظاهر هذا الرفض تلك العريضة التي وجهتها مجموعة من أعيان قسنطينة عام 1881م والتي عبروا فيها عن وعي عميق للرد على المحاولات الاستعمارية الاندماجية. وباسم الجزائر كلها ذكرت العريضة بشروط إتفاقية 1830م التي قضت باحترام دين وعادات وتقاليد الشعب الجزائري.[40] وبعد الحرب العالمية الأولى تجلت مظاهر هذا الرفض من خلال عمل مجموعة من العلماء ممن تكونوا في الجامعات والمعاهد العربية الإسلامية للتصدي لهذا المسخ الذي بدأ يطال شباب الأمة على الخصوص. وهم برفضهم هذا كانوا يرمون إلى قطع الطريق على اندماج النخب الجزائرية في الأمة الفرنسية، وهو الاندماج الذي من شأنه أن يدشن تدريجيا اندماجا فرنسيا على صعيد أكبر يؤدي إلى إختفاء الأمة الإسلامية الجزائرية برمتها. وقد كانت مخاوفهم مبررة لكون

العديد من المثقفين الجزائريين لم يتجنسوا فقط بل سعوا إلى اندماج بقية الشعب الجزائري لخلاص الأهالي في الجزائر بانضمامهم إلى الحضارة الفرنسية.[41] وفي قاعات نادي الترقي[42] الفسيحة تجمعت هذه النخبة المفكرة، وأسست تجمعا أخذ على عاتقه مقاومة الاتجاه الفرنسي تحت شعار الإسلام ديننا، الجزائر وطننا والعربية لغتنا[43]. ودعت إلى الأخذ بأسباب التمدن والحضارة من خلال سياسة تعليمية قادرة على استيعاب كل فئات المجتمع دون أن يؤدي ذلك إلى فقدان هويته العربية الإسلامية. كما وصفها الشيخ البشير الإبراهيمي: ... أمة عربية مسلمة كما هو قسمها في القدر وحظها في التاريخ، وحقها في الإرث، وحقيقتها في الواقع والمصطلح...، والاستعمار يريدها هيكلا لا تترابط أجزاؤه، ولا تتماسك أعضاؤه، يوجه وجهه إلى الغرب، ويمكن في أفكاره لأهواء الغرب، وفي لسانه لرطانات الغرب، بل يريد الاستعمار أن يقتلع جذور هذه الأمة من تربة، ويغرسها في تربة، فتأتي مضعوفة هزيلة، لا من هذه ولا من هذه.[44] وفسرت هذه النخبة الاندماج على أنه التخلي عن القومية العربية الإسلامية، وهي أغلى ما يتمسكون به لذلك رفضت بإصرار وبصورة قطعية هذه السياسة التي عبر عنها الشيخ عبد الحميد بن باديس على لسانهم جميعا في صيحته الخالدة:

شعب الجزائـــر مسلـــم وإلى العروبـــة ينتسب
من قال حاد عـــن أصله أو قال مات فقد كذب
أو رام إدمـــاجـــــا له رام المحال مـــن الطلب

وفي رده على أحد دعاة الإندماج كتب: "إن هذه الأمة الجزائرية الإسلامية ليست هي فرنسا. ولا يمكن أن تكون فرنسا، ولا تريد أن تصير فرنسا، ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت. بل هي أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد، في لغتها وفي أخلاقها، وفي عنصرها وفي دينها. لا تريد أن تندمج ولها وطن محدود معين هو الوطن الجزائري بحدوده الحالية المعروفة"[45]، وهكذا أكدت النخبة الإصلاحية على نهجها للحفاظ على الهوية الجزائرية بكل مقوماتها.

ومن جهته ربط الشيخ البشير الإبراهيمي الاندماج بموضوع الشخصية الجزائرية التي رآها تختلف عن الشخصية الفرنسية ضاربا الأمثلة بصفحات التاريخ؛ فقد ذكر أن الرومان سبق أن احتلوا الجزائر في تاريخها المبكر عدة قرون، وذهبوا وبقيت الأمة الجزائرية، وعندما أتت العروبة والإسلام إلى الجزائر لم يتردد الشعب الجزائري في اعتناقها كثوب ملائم لشخصيته. ثم جاء الأتراك وهم مسلمون ورحلوا أيضا. ويؤكد إصرار العلماء على تأكيد شخصية الجزائر العربية الإسلامية

وليست الجزائر الفرنسية، ضاربا المثل بالاحتلال البريطاني للهند، رغم احتلالهم لها، فإن الإنجليز لم يقولوا أن الهند إنجليزية.[46]

وإذا كان العقبي في بداية نشاطه الإصلاحي وحتى أثناء جو التحضير للمؤتمر الإسلامي 1936م يؤمن إلى حد ما بضرورة قيام وحدة فرانكو- إسلامية بين الجزائريين والفرنسيين، وعبر عن ذلك بقوله: "نحن نعتقد أن الجزائر تابعة لفرنسا، ونحن فرنسيين ومتفائلين بذلك ونطالب بالحقوق كالفرنسيين. ونطالب من فرنسا أن تنصت لمطالبنا"[47]؛ فقد تغيرت مواقفه عقب الحرب العالمية الثانية إثر يأسه من استعداد فرنسا للاستجابة للمطالب المعتدلة التي نادى بها هو ومجموع الإصلاحيين، وأخذ العبرة مما ترتب عن الحرب من مذابح إثر حوادث ماي 1945م. فأصبح على قناعة تامة بفكرة الاستقلال وأنه حان الأوان للشعب الجزائري لكي يستعيد حريته التي سلبت منه منذ أكثر من مائة عام. وقد أبرز ذلك بقوله: "إذا كانت كل الأمم وكل شعوب الدنيا هدفها الوحيد في هذا الزمان بعد هذه الحرب الطاحنة الضروس إنما هو شيء واحد، اسمه الحرية العامة والاستقلال الكامل. فلا غرو أن تكون الأمة الجزائرية والشعب الجزائري الذي لم يفقد بعد كل مميزاته كأمة، وكل مقوماته كشعب له ماضيه وتاريخه المجيد. وله دينه الجامع المانع. وله لغته العربية الرسمية لكل أهل ذلك الدين، وله ذاتيته التي لا يرضى بها بديلا، وجنسيته التي أبى أن يتنازل عنها، وسيأبى أن يتنازل ولو كانت كل بلاد فرنسا ملكا له ودولتها طوع أمره وبين يديه. لا غرو ولا عجب أن تكون هذه الأمة كغيرها من الأمم بل وفي مقدمة الأمم، وهي جزء لا يتجزأ من العالم الإسلامي العربي كله. أحب من أحب وكره من كره. نريد ما يريد الناس من حق طبيعي في الوجود وحياة سعيدة نشارك بها أهل السعادة في هذا العالم الحي الموجود، أو موت شريف يلحقها بدار الراحة والهناء والخلود".[48]

وردا على أولئك الذين اعتبروا الاندماج وسيلة للتمدن الأوروبي، مستدلين بما حدث في التاريخ القديم حين أندمج أسلاف الجزائريين من البربر وصاروا في العصر الروماني رومانيين بكل معنى الكلمة. فبلغ أن كان منهم أباطرة رومان. كتب الشيخ مبارك بن محمد الميلي رادا على أولئك الذين اعتبروا الاندماج تمدنا ورقيا قائلا. "إن سياسة الاندماج هي القبر الذي لا نشر بعده. وفقد التمدن العربي الإسلامي من الجزائر لا يتيح صلاحية الاندماج...، وهذا التمدن الأوروبي الفرنسي الذي نراه لازما للأمة قد كان مفقودا أيضا من الجزائر، و لم يزل مفقودا. فما الداعي لترجيح تمدن بعيد عن دين الأمة وأخلاقها وعوائدها على تمدن هو متفق معها في كل ذلك؟...

والأمة الجزائرية لكونها إسلامية ولأكثرية العنصر العربي بها تميل إلى التمدن العربي الإسلامي. فوجود التمدن الأوروبي الفرنسي بيننا لا يجعله أقرب إلينا من التمدن العربي الإسلامي. وفكرة الاندماج التي يروها أقرب طريق لرقي الجزائر هي في الواقع أبعد الطرق. لأن الأمة لا تميل إلى ذلك. وإن أكرهت على الاندماج من طرف نوابها وساستها ودولتها. زادت نفورا من المكرهين لها ومن سياستهم"[49].

ويتوجه إلى الذين أرادوا الإندماج على الطريقة الرومانية قائلا: "وما كنا نظن أن مطلعا على تاريخ الرومان مع البربر يقول إن البربر صاروا رومانيين...، والواقع الذي يشهد له التاريخ الصادق أن البربر لم يتحدوا مع الرومان فضلا عن أن يندمجوا فيهم...، ولو كان البربر صاروا رومانيين ما اندمجوا من بعد في العرب. ولما كانت تطلب اليوم اندماجهم في الأمة الفرنسية.

ويختم قائلا: "إن العاملين بسياسة الندماج عاملون على انقراضنا والتحاقنا بالأمم البائدة، ولم يبق لنا من وجود إلا في صفحات التاريخ"[50].

وكذلك اعتبر الشيخ الفوضيل الورتيلاني سياسة الإندماج المزعومة التي جاءت بها فرنسا لتحقيق المساواة ولخلق مجتمع واحد حسب ما جاء في قوانينهم، لم يتحقق منها شيئ على الإطلاق. وأن عناصر هذا المجتمع الواحد والموحد لا زالت منفصلة محتفظة بمزاياها الفردية بعد عشرات السنين. ولم تتحقق عناصر المساواة الحقيقية التي يجب أن تتوفر لصنع الإندماج. وأن الجزائري المندمج لا يتيح له القانون الاندماجي أن يتمتع بما فوق وظيفة مختار (بشاغا) أي لا يجوز له أن يكون قاضيا في محكمة أهلية ولا نائب قاض، ولا يجوز له أن يكون رئيس قسم بوليس ولا معاونا له، ولا يجوز أن يرتقي في الجيش إلى مرتبة أعلى من رئيس كما لا يجوز أن يكون رئيس بلدية أو نائبا أول. وفي المجالس النيابية المحلية فإن عشرة ملايين من الجزائريين لا يعادلون نصف مليون من المتفرنسين. وفي القانون العام الذي يحكم الجزائريين. فهو خاص بهم يسمى "قانون الأهالي"[51]. وفي موقع آخر يتساءل كيف للجزائر التي تقع في قارة وفرنسا التي تقع في قارة أخرى يفصل بينهما بحر عظيم أسمه البحر الأبيض المتوسط أن تندمجا.

ورغم حرصها على رفض سياسة الاندماج فقد حاولت النخبة الإصلاحية أن تجد لها نقاط تقارب مع باقي المثقفين الجزائريين، واستطاعت من خلال المؤتمر الإسلامي أن تدمج مطالبها عن حرية الدين الإسلامي والتعليم العربي ونشر اللغة العربية في مراحل التعليم المختلفة وتنظيم القضاء الإسلامي واستقلاليته ضمن قائمة مطالب بقية المؤتمرين من التوجهات المختلفة المشاركة في المؤتمر.

الأمر الذي جعل مصالي الحاج يوجه رسالة مفتوحة لجمعية العلماء يتساءل فيها كيف لها أن تشارك في مؤتمر يكرس الإندماج، ويسعى إلى "تقسيم الأمة الجزائرية إلى قسمين متناطحين وخلق طبقتين واحدة ممتازة والأخرى ضحية..."[52].

وجاءت تبريرات الشيخ الأبراهيمي حول اشتراك جمعية العلماء المسلمين في المؤتمر الإسلامي الذي حمل الكثير من المطالب الاندماجية. بأن ذلك كان من أجل المحافظة على الوحدة الوطنية الإسلامية للشعب الجزائري. ومن أجل المشاركة في عمل صالح للأمة... لأن العلماء جزء من الأمة في الواقع والحقيقة[53].

أما الشيخ محمد خير الدين فقد كتب عن سبب مشاركة العلماء المؤتمر الإسلامي قائلا: "هدد الجزائر خطر شديد في قوميتها ببرنامج "فيوليت" القاضي بالاندماج التدريجي للشعب الجزائري المغري لبعض النخبة المثقفة بالفرنسية، فأضطر العلماء للمشاركة في المؤتمر الإسلامي بفرض مبادئها على المؤتمرين. وهي المحافظة التامة على الشخصية الجزائرية ورفض كل مساس بها"[54].

ونتيجة الأحداث التي وقعت بعد المؤتمر تساءل الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي أصبح متيقنا أن مشروع بلوم فيوليت قد مات وأقبر: "إن كانت فرنسا عازمة حقيقة على سلوك الإصلاح والاستجابة لرغبات الجزائريين، أم كلها ترييم وتنويم وأن سياسة التسويف التي دامت في عهدها الأخير نيفا وعشرين سنة ستدوم في المستقبل مثل ذلك أو أكثر إلى أن ترغم الحوادث أحدا من الجانبين إلى الرضوخ والإستسلام.[55]

و لم تكن هذه النخبة وحدها من رفض الاندماج، فقد رفض بدوره مصالي الحاج ومن معه هذه السياسة بوصفها منافية لعادات الشعب ولماضيه، ومنافية لمعاهدة 5 جويلية 1830م التي تؤكد بصفة قطعية احترام عاداته وحريته وأملاكه. وكتبت جريدة الأمة في أوت 1935م: "نقول للشعب بأن سياسة الاندماج وترك القانون الشخصي يشكلان خطرا كبيرا. وفي حالة وقوعهما تضيع جنسيتنا وحريتنا وكرامتنا، وكل أمل في استرجاع حريتنا تكون النتيجة حينذاك الانتحار. نحن نندد بهذه السياسة ونقف بكل قوتنا ضدها ونهيب بكل الشعب الجزائري المسلم للقيام ضدها.[56] وأكد مصالي الحاج على مواقفه هذه عقب المؤتمر الإسلامي والخطاب الخالد الذي دعا فيه الحاضرين بتجمع الملعب البلدي إلى رفض هذا التوجه والإصرار على الاستقلال كمطلب وحيد وأكيد.

وأمام هؤلاء الذين راحوا يزينون للشعب الجزائري فوائد الاندماج والتخلي عن الشخصية الجزائرية في مقابل الظفر بالشخصية الفرنسية، كتب الشاعر مفدي زكريا مبينا خدعة الاندماج مذكرا بأن الجزائر كيان ووطن مستقل له جذوره الموغلة في العروبة والإسلام، ويمتد في التاريخ إلى سلالة الأبطال.

عصبة الإندماج مهلا رُويـــدا حبّك اليـــوم خدعـــة واحتيالا
إن أردتـــم الجزائر أرضـــــا فاهجروا الأرض السما والرمالا
إن يكن بينكم فيوليت يرضى ليس يرضى سبحانـــه وتعـــالى
ورفـــاة النبيّ من طيبة الغراء ينـــادي على الجزائـــر لا...لا
ولموسى وعقبـــة وابن زيـــاد صـــراخ يزعـــزع الأجيـــالا
ويلتـــاه على الجزائـــر ربّـــاه أجِـــرْها وفُـــكَّ عنها العِقـــالا[57]

وهكذا كانت سياسة الإندماج عند النخبة ذات التوجه الإستقلالي خرافة وتضليل. وكانت ترى أنه لن يكتب لها النجاح لأن الشعب الجزائري القوي بأكثر من ستة ملايين نسمة، لغته واحدة ودينه واحد وماضيه واحد يعتز به، ولا يمكنه أن يندمج في غيره أو يمحى من الوجود"[58].

الخاتمـــة: توقعت فرنسا من خلال سياستها الإندماجية أن تخلق مجتمعا جزائريا منسلخا عن هويته الأصلية، قدوتها في ذلك ما جرى لشعوب أمريكا الأصليين، وكذلك ما فعلته بسكان جزيرة كورسيكا وغيرها من الشعوب التي ضمتها بالقوة إلى الحظيرة الفرنسية. لكنها وجدت في الجزائر وبالرغم من الجهود الجبارة التي بذلتها من أجل ذلك، من الإغراء تارة وسياسة الوعد والوعيد تارة أخرى شعبا ظلّ متمسكا بهويته المستقلة، ومحافظا على خصوصيته واستقلال ذاته من كل محاولة مسخ ومحو.

الهوامش:

1 - حمدي أحمد. جذور الخطاب الإيديولوجي الجزائري. دار القصبة، الجزائر، 1995، ص92.

2 - في عام 1891 طالب جماعة من الأعيان من لجنة الشيوخ التي زارت الجزائر يومئذ برئاسة جول فيري. بوضع الإدماج موضع التنفيذ وبالسماح للأهالي بإرسال مندوبين عنهم لتمثيلهم في البرلمان الفرنسي للدفاع عن مصالحه. تلتها زيارة ثانية في عام 1900 والتي كان لها اثر كبير على جماعة النخبة الذين تخرجوا من المدارس الفرنسية. وقد طالبوا بالإندماج مع فرنسا وبالحقوق والتمثيل النيابي والمساواة.

3- بركة الهواري. الصراع السياسي والمسألة الثقافية في الجزائر. رسالة ماجستير، جامعة وهران، قسم علم الإجتماع، 2002-2003، ص 52.

4- سعيد فاسي: مدرس متخرج من مدرسة بوزريعة للمعلمين. ولد عام 1880 بمنطقة القبائل الكبرى. تحصل على الجنسية الفرنسية عام 1906. ناضل لمدة عشرين سنة بمنظمة حقوق الإنسان. واحد من مؤسسي جريدة صوت البسطاء. بعد خروجه إلى التقاعد عام 1927 أستقر بمدينة تولوز بفرنسا. من مؤلفاته:

Mémoire d'un instituteur d'origine indigène 1931- l'Algérie sous l'égide de la féodalité de la France contre la féodalité Algérienne 1936

5-Mahfoud, Kaddache .Djilali Sari. L'Algérie dans l'Histoire, la résistance politique. OPU, Alger, 1989, p 227

6- بلقاسم بن التهامي: هو بلقاسم بن حميد بن تامي، ولد حوالي عام 1881 بمستغانم، وبعد المرحلة الإبتدائية والثانوية، أتم دراسته بالطب بجامعة الجزائر (1897) ثم بمونبلييه بفرنسا (1905)، تخصص في طب العيون مثلما تخصص أخوه جيلالي بطب الأعصاب. تحصل على الجنسية الفرنسية عام 1919. تولى إدارة جريدة l'Avenir Algérien وفي عام 1923 أصدر جريدته Attaqadoum. عرف عنه أنه كان من أشد المتحمسين للاندماج التام. توفي عام 1940.----7 - حميد عبد القادر. فرحات عباس رجل الجمهورية. دار المعرفة، الجزائر، 2007، ص35.

8 - أبو القاسم سعد الله. تاريخ الجزائر الثقافي. الجزء6، دار العرب الأسلامي، بيروت، 1998، ص 143.

9- إسماعيل حامد: عسكري مترجم بالجيش الفرنسي ولد يوم 4 أوت 1857 بالجزائر، التحق بالجيش الفرنسي وبدأ مترجما رئيسيا به بداية من عام 1877. بعد ذلك ذهب إلى التقاعد عام 1913. لم يعرف له نشاط ثقافي واضح قبل مطلع القرن العشرين. ألف كتابه " المسلمون الفرنسيون بشمال إفريقيا" عام 1909 وهو يحتوي على ثلاثة فصول. الفصل الأول يتناول فيه ماض الجزائر بما فيه تكوين وتوزيع السكان المسلمين، ثم تحدث عن الأمازيغ والعرب. الفصل الثاني خصصه للحديث عن الحاضر أي الجزائر عام 1900. أما الفصل الثالث فقد خصصه للحديث عن المستقبل وتحدث عن مكتسبات الفرنسية والأهلية. وختم كتابه بالحديث عن أفارقة المستقبل.

10- الزبير سيف الإسلام. تاريخ الصحافة في الجزائر. ج5 ، الطبعة 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص172.

11- أبو القاسم سعد الله. تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء7. دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 188.

12- شريف بن حبيلس: ولد سنة 1885 بقسنطينة. دراسات عليا في القانون. دكتوراه. عضو بنادي صالح باي. واحد من رواد الحركة الوطنية للشبان الجزائريين.

13- رابح زناتي: (1877- 1952) من المؤمنين بالإندماج والمأخوذين بالتأثير الفرنسي حتى لم يعد يرى الجزائر في غير الإطار الفرنسي. ولد في عين الحمام وتلقى تعليمه الأول في مسقط رأسه. ثم انتقل إلى العاصمة أين التحق بمدرسة المعلمين ببوزريعة. أنشأ أسبوعية في قسنطينة بعنوان صوت الأهالي وقد جمع بين السياسة والصحافة.

14-La voix des humbles . N^{0}5- 1927

15- رابح لونيسي. التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق والاختلاف 1920-1954. كوكب العلوم.الجزائر.2009، ص48.

16 - المرجع السابق، ص 48.

17- N^{0}49 /1927 La voix Indigénes

18 - بدأ مولود معمري النضال **الأمازيغي** انطلاقا من تناوله بالدراسة لمفهوم الهوية عبر مجموعة من الكتابات والأبحاث التي بدأ نشرها في مجلة **أكدال** منذ سنة 1938 وهي مجلة كانت تصدر بالمغرب وكانت تهتم بثقافة المجتمع **الأمازيغي**، يصدرها المعهد العالي للدراسات **الأمازيغية** في ظل الحماية الفرنسية. ولقد مكنته هذه الأبحاث حول المجتمع الأمازيغي بصفة عامة وحول الهوية **الأمازيغية** بصفة خاصة من الوقوف على مجموعة من الحقائق والوقائع التاريخية المخفية والمطموسة، وهو ما سيعكسه لاحقا في ثلاثيته الروائية الرائعة: التل المنسي، نوم العادل، والأفيون والعصا. وهي روايات عكس فيها بالدرجة الأولى صراع الهوية الأصلية للأرض **الأمازيغية** مع العناصر التي ترتبت عن **الثقافة** الأجنبية.

19 - رابح لونيسي. المرجع السابق . ص 132.

20- Guy Pervillée. Les Etudiants Algériens à l'université Française1880-1962. OPU, Alger , 1975. p405

21- رسائل جزائرية كتبها حسانين لهمك وهي رسائل سياسية وأدبية نشرها عام 1931 عبر فيها عن نقده للإسلام والعروبة وعن قناعته بورمنة وفرنسة الجزائر وأهلها. وقد أثار هذا الكتاب ردود أفعال من جانب الحركة الإصلاحية التي اعتبرت لهمك مرتدا ومنحرفا عن خط المجتمع الجزائري.

22-Guy Pervillée. Opcit. p406-----23-La voix Indigènes du 10 janvier 1944----24-L'Entente du 26 Mai 1938
25-La voix des humbles. N°95 du 15 Octobre 1930 p14---26-Ferhat A, La nuit coloniale, R.Julliard, Paris, 1962 ,p119.

27- رابح لونيسي . .المرجع السابق. ص54

28- محفوظ قداش. الأمير خالد وثائق وشهادات. ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009 عن جريدة الإقدام 14-18 ديسمبر 1919.

29- بكار محمد. الدكتور محمد الصالح بن جلول.(1893-1985). رسالة ماجستير، جامعة وهران، قسم التاريخ، 2007-2008 ص34.

30- الرجع أعلاه .ص 36

31- ابن جلول. تمهيد كتاب محمد قسوس// La vérite sur le malaise Algerien. Bone, Ed. Imprimerie rapide,1923

32- المرجع أعلاه . ص35

33-Ferhat Abbas .l'Indépendance confisquée . Alger Livres Ed., alger, 2011, p211.
34-Benjamin Stora,Zakiya Daoud. Ferhat Abbas, une autre Algérie. Casbah, Alger, 1995, P80

35- المقدمة الثانية من الطبعة الثانية التي صدرت عام 1981 من كتاب

Abbas Ferhat , Le jeune Algérien.de la colonie vers la province. Algérie livres edition, Alger, 2011
36-Opcit p89 Benjamin Stora,Zakiya Daoud.

37-Andre Noushi. La naissance du Nationalisme Algérien 1914-1954. Edts minuit. Paris.1962. p95-96
-Collot ,claude.Jean Robert Henri. Le mouvement national Algérien ,Textes 1912-1954. 2e Edition ,OPU -38 ,Alger,1981. P138

39 - منها مبادرة محمد بن رحال . هذا الأخير ألقى خطابا هاما أمام الرئيس الفرنسي أثناء زيارته للجزائر. طالب من خلاله صراحة بحقوق المسلمين ورفض سياسة الاندماج وحث على توسيع دائرة التمثيل السياسي الأهالي وإلغاء قانون الأهالي. لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع .طالع عبد المجيد بن عدة. المثقف الثائر سي محمد بن رحال 1857-1928. بمجلة حولية المؤرخ العدد5، جوان 2005

40- مصطفى الأشرف. الجزائر الأمة والمجتمع. ترجمة . حنفي بن عيسى ، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر 1983. ص238

41-Ali merad: le réformisme musulman en Algérie de 1925 à1940 . El hikma . Alger ;1999, p 493

42- نادي الترقي: أسسته نخبة من المثقفين الجزائريين في أحسن موقع بالجزائر العاصمة.سنة 1927 وكان يجمع النخبة المفكرة كلها بالعاصمة وخارجها، للمشاركة في النشاطات الثقافية من محاضرات ومسامرات وحفلات كبرى. فكان مركزا لمقاومة الإندماج والتجنس ومهدا لنهضة عربية إسلامية.----43 - أحمد توفيق المدني. هذي هي الجزائر. مكتبة النهضة المصرية.القاهرة، بدون تاريخ، ص166.

44 - أحمد طالب الإبراهيمي .آثار البشير الإبراهيمي. الجزء 2.(1940-1925) .دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1979 .ص 55 عن جريدة البصائر العدد2/.1 أوت 1947.----45- عبد الحميد بن باديس. كلمة صريحة. الشهاب، افريل 1936.

46 - البصائر، العدد 15./1947.----47- أحمد مريوش. الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية. رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، معهد بوزريعة، 1991-1992. ص 430.

48 - جريدة الإصلاح. العدد 51 بتاريخ 6 جوان 1947.----49 - الشهاب، 21 جوان 1928.

50 - الشهاب. المصدر السابق .----51- الفضيل الورتيلاني. الجزائر الثائرة. دار الهدى، الجزائر، 2009، ص 65.

52- محمد قنانش. الحركة الاستقلالية في الجزائر 1919ـــ 1939. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 65

53- احمد طالب الإبراهيمي. اثار البشير الإبراهيمي. الجزء1 المرجع السابق. ص257 - 258

54- كمال عجالي. مساهمة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الحفاظ على الهوية الوطنية. مجلة العلوم الإنسانية. جامعة منتوري، قسنطينة، العدد 16، ديسمبر 2001.ص 105.----55- الشهاب. جوان 1939.

56 -عبد الحميد زوزو. الدور السياسي للهجرة في فرنسا بين الحربين 1914-ـــ1939: نجم شمال إفريقيا وحزب الشعب. ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.ص138----57- جريدة الشهاب 5 مارس 1937.

58- محمد قنانش. الحركة الاستقلالية في الجزائر 1919ـــ 1939 المرجع السابق .ص84

ABSTRACT: Policy integration, including France wanted to eliminate the Arab-Islamic identity of the Algerian combines, under the pretext of preparation and some reprieve from the causes of failure and retreat, to join up with the march of civilization as did the Romans in North Africa centuries ago. But what happened that some various Algerian elites excepte a few of them refused this policy. What was the arguments of civilization and urbanization that make them give up their identity and independence, the Algerian people are Ancient and have an extended roots in history and can not abandon its independence in exchange for material and moral claims of France.